

ويلاحظ أولاً أن الأمر قد اشتبه على صاحبنا ، فأعجمية المغاربة بالفعل هي البربرية ، لكن أعجمية الأندلسيين - وهم الذين قصدهم بكلمة مغاربة ، وأتى بنماذج عديدة من موشحاتهم - وهم الذين قصدهم بكلمة مغاربة ، وأتى بنماذج عديدة من موشحاتهم - كانت الرومانشية الإسبانية التي لم تتوفر لديه بيانات كافية عنها ، ومن ناحية أخرى فإن هذا القصد التوشحي الذي نص عليه كان يتمثل في الدرجة الأولى في اختلاف المستوى اللغوي وكسر النمط الأخلاقي والخروج على وهم سيطرة الإبداع الخاص عبر تعدد الأصوات داخل الموشحة .

وقد أشار أكبر باحث غربي للموشحات الآن ، وهو المستشرق الإسباني " جارثيا جوميث " عند نشره لكتابه المخصص لهذه الخرجات الأعجمية إلى الوظيفة التي كانت تقوم بها داخل الموشحة قاتلاً : كيف نفسر موقف أول صانع عربي للموشحات ، عندما أخذ خرجة رومانشية أعجمية وأقام عليها موشحته ، وتبعه في ذلك بقية الوشاحين ؟ لقد كان ذلك ظاهرة جديدة لا بد من إطلاق تسمية جديدة عليها ، ويمكن حينئذ تسميته " فولكوري سابق لعصره " فالوشاح قد أخذ الخرجة وطعم بها موشحته لأهداف جمالية ، لا لهدف الحفظ الواعي لهذه الشذرات الشعبية للأجيال التالية ، ومع أنني أعرف بطبيعة الحال أن الفلوكلور من علوم القرن التاسع عشر إلا أنه من المشروع أن نصف صنيع الفنانين في العصور الوسطى بتسميات مأخوذة من المصطلحات اللاحقة ، كما نفعل في الرسم وفي غيره من الفنون " (٣١) .

وهناك نوع آخر من التناص لا يعتمد على هذه الشذرات الفولكلورية ، بل يوظف بدلا منها في خرجة الموشح ، أو في ثناياه ، فلذات شعرية تجمعت حولها بفعل التراكمات التاريخية طاقة إيحائية فذة يستثمرها الوشاح في إنتاج دلالاته ، ويحتاج هذا اللون إلى جسارة بالغة لأنه خروج صارخ على النموذج المثالي للقصيدة العربية غير المسبوقة ، إنه ليس من قبيل السرقات المستترة ، بل هو قطع الطريق الشعري والسيطرة عليه ، وفي هذا يقول ابن سناء الملك : " وفي شجعان الوشاحين والطعانين في صدر الأوزان من يأخذ بيت شعر مشهورا فيجعله خرجة ويبني موشحه عليه ، كما فعل ابن بقي في بيت ابن المعتز وهو : -